

٩- الأفراح فى مصر الحديثة بين الاستمرارية والتغير

"صفحة من تاريخ مصر الاجتماعى فى القرنين التاسع عشر والعشرين"

على الرغم مما اتسمت به الحياة الاجتماعية فى مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين من إيقاع شرقى يتميز بالثبات والاستقرار والبطء فى التغيير. ومع أن الشعب المصرى يعد من أكثر شعوب العالم تمسكا بعباداته وتقاليده وتراثه فإن ما حدث فى السنوات الأخيرة من متغيرات حضارية مثل زيادة نسبة التعليم بين الإناث والذكور، ومثل ما أدخلته وسائل المدنية الحديثة من أجهزة ووسائل اتصالات وفصائيات قد هز الكثير من هذه الأوضاع واستطاع النفاذ خلف ستار التقاليد السميكة مما أدى إلى ذبول بعض العادات القديمة المتوارثة، واستبدالها بعبادات جديدة وافدة، ومن هذه العادات ما يحدث حاليا فى تقاليد الزواج والأفراح فبعد أن كان المصريون يزوجون أولادهم فى سن مبكرة، إذ لا يكاد الفتى يبلغ الحلم حتى تبحث له أسرته عن بنت الحلال، فإنه بعد انتشار التعليم بين الإناث والذكور لم تعد فكرة الزواج المبكر مطروحة إلا نادرا، وبعد أن كان المصريون يتمسكون بضرورة زواج الأقارب فقد توقفوا عن ذلك بعد أن ثبتت أضراره طبيا خاصة إنجاب الأطفال، وبعد أن كان الأهل يتحكمون فى اختيار زوجة الابن التى كانت تختار له أحيانا منذ الطفولة فقد أصبح هذا الاختيار من حق العروس والعريس معا، وبعد أن كان زواج أحد أبناء البلدة أو الحى أمر يخص أبناء الحى جميعا لا الأسرة وحدها، فقد اقتصر أمر عقد معظم حفلات الزفاف على الفنادق والأندية بعد أن ضاقت البيوت عن استقبال المدعوين.

وبعد أن كانت هناك ضرورة لحضور البلانة مع العروس فى ليلة زفافها فقد تلاشت مثل هذه العادة التقليدية، وبعد أن كانت الخياطة من الشخصيات التى يتردد قدومها على بيت العروس لاختيار تفصيله فستان الزفاف، فإن عادة شراء ثوب الزفاف جاهزا أصبح معروفا، وبعد أن كانت الصديقات والقريبات يقمن بدور تجميل العروس وتزيينها أصبح الكوافير الآن يؤدى نفس هذا الدور، وبعد أن كان توزيع علب الملابس وأكواب الشربات الأحمر القانى وسط هرج وضجيج الأطفال من العادات المألوفة

فى الأفراح فقد أندثرت هذه العادة، ولم يعد لها مكان خاصة ، خاصة فى الفنادق التى لا يدعى إليها الأطفال طبقاً لأنظمتها المتبعة.

وفىما يلى نعرض لعادات وتقاليـد المصريين فى الزواج ابتداء من الخطوبة وحتى الزفاف منذ أن شاهدها المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين^(١)، وأخته صوفيا^(٢)، خلال عصر محمد على حيث كان القديم الموروث لا يزال قائماً وكانت مصر لا تزال تنسب إلى مجتمعات العصور الوسطى فى الكثير من مناحى حياتها. ثم ما طرأ على ذلك من مستحدثات وتغييرات فى عهد خلفاء محمد على حتى نصل إلى ما هى عليه الآن.

أولاً: مرحلة الخطوبة:

تحدث لين عن الخاطبة ودورها فى مهمة البحث عن العروس فذكر أنها كانت تحترف مهنة الدلالة التى تبـيع الحلـى والملابس النسائية حتى يسهل عليها الدخول إلى قـلاع الحريم، ومساعدة الرجال فى اختيار العروس الملائمة نظير أجر معلوم، وكانت العادة أن تذهب أم الخاطب وبعض قريباته مع الخاطبة لزيارة عدة بيوت، باعتبارهن زائرات فقط، وقد لا يلبثن طويلاً إذا لم يصادفن مرادهن، ويفهم الطرف الآخر طبعاً القصد من الزيارة ولكن إذا سمعن أن من بين نساء المنزل فتاة تتحلى بالصفات المطلوبة يكشفن عن قصدهن ويستفهمن عن أحوال الفتاة التى يقع عليها الاختيار وعما تملكه من حال أو متاع.

ولما كان غير متبع خلال هذه الفترة رؤية أسرة الخاطب من النساء للعروس إلا بعد زفافها فقد كانت الخاطبة غالباً هى مصدرهم، فى وصف الفتيات، التى كثير ما تبـالغ فى وصفهن، وإلى جانب ذلك فقد كانت الخاطبة تبـالغ لدى أسرة الفتاة فى وصف الشاب الراغب فى الزواج بما ليس فيه أحياناً فنصفه بلطف المعاشرة والأناقة والثراء وحب الترف والكرم، والرغبة فى الملاطفة والدلال حتى تتمكن من الحصول على موافقة العروس وأسرتها، وبعد

(١) زار لين مصر ثلاث مرات كانت الأولى فى أواخر عام ١٨٢٥م وكان وقتذاك شاباً فى الرابعة والعشرين من عمره جاء ليدرس حضارة قـمـاء المصريين، ولكن القاهرة التى استولت على لـبه وشعبها الذى شغف بالعيش معه جعله يرى أن دراسة الأحياء اـمـتـع له وألذ من دراسة تاريخ الأموات مما صرفه عن قـمـاء المصريين إلى الكتابة عن أحفادهم. واستمر لين بهـ صـر ثلاث سنوات يدرس حياة الناس كما يدرس اللغة العربية حتى تـمـك ناصيتها كتابية ومحادثة وبعدها عاد إلى انجلترا فى أواخر عام ١٨٢٨ بعد أن درس الحياة فى القاهرة دراسة مستوفاة، وجمع فى مخطوطاته مـمـودة كتابه الذى صدر بعنوان *The Manners and Customs of the Modern Egyptians*. ورغبة من لين فى الاستزادة ببعض المعلومات عاد إلى مصر فى عام ١٨٢٣ حتى يسد بعض الثغرات فى كتابه، ولما رجع إلى انجلترا أصدر هذا الكتاب. أما الزيارة الثالثة فكانت فى عام ١٨٤٢ وكان هدفها الإعداد لمعجم عربى شامل. للتفاصيل انظر: نجيب العتيق: المستشرقون ، ج٢، ص ٤٨٠.

(٢) صحبت أخيها إدوارد خلال زيارته لمصر، ولها دراسة عن الجوانب والأسرار الخفية من أمور الحريم فى أسرة محمد على وغيرها تنوق فى غزاتها أى مصدر آخر ويتضح ذلك من كتابها الذى ظهرت طبعته الأولى فى عام ١٨٤٤ تحت عنوان: *The English Woman In Egypt* قامت الدكتوراة عزة كـراره بترجمته فى عام ١٩٩٩: تحت عنوان حريم محمد على باشا.

أن تستعلم الزائرات عن أحوال العروس يقدمن تقريرهن إلى الراغب في الزواج فإذا رضى بذلك البيان يقدم إلى الخاطبة هدية، ويرسلها ثانية إلى عائلة الفتاة لتعرفهن رغباته.^(١)

واستمرت هذه الأمور على حالها حتى أوائل القرن العشرين تقريبا، حيث بدأ بعضها في التغير فقد اتسع دور الخاطبة، وازدادت معرفتها بأخبار الفتيات الراغبات في الزواج حيث كانت تزور البيوت تتصل بالأمهات وتسال عن الشابات في سن الزواج، وتتعرف أخبارها وتقف على رأى الأم في الزوج الذى تبتغيه لابنتها إذا ما سهل الله لها بابن الحلال، وكانت الأم تؤكد على الخاطبة أن تكثر في التردد عليها وتوعدها بأنها ستعطيها ما تريد من المال إذا جاءت لابنتها بالعريس المنشود، وبعد ذلك تذهب الخاطبة إلى منازل الأسر التى بها شباب يريدون الزواج، وتكون واسطة بين أهل الزوج والزوجة في تعريف هؤلاء بأولئك وكانت أحيانا تبالغ في وصف حال الفتاة وأصلها فتقول مثلا ان لها وجه مدور كالصنية، وعيونها عيون الغزلان، وفمها خاتم سلمان وصدورها بيض نعام وأنفها مثل النبقة، وأسنانها لؤلؤ، وانها إذا تكلمت تنثر اللؤلؤ من بين شفتيها^(٢)، وزيادة في تشجيع الشباب على التقدم لخطبتها تذكر أن الكثيرين تقدموا لها، ولم يوفقوا لأنهم لم يكونوا أكفاء لها وهكذا كانت المفاوضات الأولية تجرى مع الدلالة، ورويدا رويدا تطورت الأمور، وأصبحت أسرة العريس تبعث ببعض نساها لتسأل وتبحث وتعاین أوصاف العروس المرتجاة بدلا من الخاطبة فيذكر فكرى إياضة أنه كان يتم تحديد موعد الزيارة وتستعد العروس وتنظم نفسها وجمالها وقوامها وترتدى أبداع ثيابها وتعطر جسمها وشعرها بالروائح^(٣)، وبعد أن تصل أسرة العريس وتشرب القهوة أو الشرابات يتم استدعاء العروس فتقبل وهى تتهادى خجلا وتجلس بأدب واحتشام ثم يأتى دور البحث والفحص والتجريب^(٤)، فتشرع أم العريس أو إحدى قريباته فى الحديث مع العروس، وخلال ذلك تحق فى أسنانها لترى إن كانت عيوب أو كسور من ناحية التناسق واللون، ومن الحديث تستنتج خفة الروح أو ثقل الدم، وتعرف نوع الصوت إن كان ناعما أو خشنا أو غليظا^(٥)، وقد تخرج إحدى قريبات العريس سيجارتها وتطلب من العروس برفق أن تشعل عود الكبريت فتتقدم لتلمح قوامها وقدها، ثم تطلب منها الاقتراب لتشعل عودا آخر، كى تتسع لها الفرصة لتحقق فى عينيها عن قرب، وربما تطبطب على صدرها لتلمس ثدييها ببراعة

(١) ادوارد لين: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢) محمد عمر: حاضر المصريين أوسر تأخرهم، ص ٢٠٥.

(٣) فكرى إياضة: الضاحك الباكي، ص ١٤٧.

(٤) محمد جبريل: مصر فى قصص كتابها المعاصرين، ص ٣١٦.

(٥) فكرى إياضة: المرجع السابق، ص ١٤٩.

وأحكام^(١)، ثم يتم إبلاغ العريس بالتفاصيل بعد ذلك، فإذا اقتنع بما سمعه تقدم للزواج من غير أن ينظرها، ويعرف شكلها وطباعها وأخلاقها وانما ذلك كله بعد الزفاف.^(٢)

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات فقد كان العريس ينخدع أحيانا بالأوصاف التي تتقل له عن العروس، ومن الأمثلة على ذلك قصة زواج شاعر النيل حافظ إبراهيم فعلى الرغم من اختيار زوجة خاله للعروس وتصديقه للأوصاف التي خلعتها على عروسه المقبلة واستسلامه لمراسم عقد الزواج فقد أحس حافظ بفجيعته في نفسه عندما تطلع إلى عروسه، ولم يرقه منظرها، بل أوجد أنفها الضخم رهبة في نفسه مما جعله يخفق في تجربة الحياة الزوجية، ولم يعد إلى تجربة الزواج طيلة حياته.^(٣)

ومعنى ذلك أن الخاطبة أو الأسرة هي التي كانت تختار العروس ولم يكن لأى من الخطيبين رأى في إتمام ما يحدث، فلا العريس رأى العروس قبل أن يخطبها ولا هي رآته أو كلمته قبل ذلك بل كانا غالبا لا يعرفان شيئا عن بعضهما إلا ما ترويه الخاطبة أو الأسرة فقط خاصة وأن الانفصال الحديدي بين الجنسين كان يحيط الفتاة بالغموض فهي تحت حجابها الذي يغطي جمال وجهها أو قبحه لا يراها العريس إلى أن تصبح في حوزته مما أوجد في العديد من الأحيان حدوث نفور بين الزوجين عند مكاشفة بعضهما للبعض في ليلة الزفاف^(٤)، خاصة عندما يصاب الرجل بخيبة أمل في رؤية الجمال المنتظر في فتاة أحلامه فيجدها عكس ذلك مما زاد من عملية تعدد الزوجات.

وعلى أى حال فقبل أن توافق أسرة العروس على خطبة ابنتهم للعريس المنتظر كانت تتم التحريات عنه، وعن أسرته وسلوكه وماليته وغير ذلك، وربما يسألون عنه في قسم الشرطة التابع له . وقد تستمر التحريات ثلاثة أشهر أو يزيد حتى يصدر القرار بالموافقة ثم يجئ دور الكلام عن المهر والشبكة وإذا وافق الطرفان على شروط بعضهما يسمح للخطيب بالتردد على منزل أسرة العروس، ومقابلة رب الأسرة وزوجته، وتقديم الدبلة والشبكة وسط إجراءات ورسميات ومراسيم.

ونتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي طرأت على مصر خلال السنوات الأخيرة وفي غمار الحراك الاجتماعى السريع الذى طرأ على المجتمع المصرى بدأت الأمور تتغير^(٥)، فقد تلاشت هذه الصور تدريجيا، فالعصر الحالى الذى نعيشه يشهد

(١) نفسه، ص ١٤٩.

(٢) عامر العقاد: أحمد أمين حياته وأدبه، ص ص ٤٠ - ٤١.

(٣) محمد كامل جمعه: حافظ إبراهيم، ص ص ٥١ - ٥٢.

(٤) أحمد شفيق: مذكراتى في نصف قرن، ج ١، ص ٧٣.

(٥) جلال أمين: ماذا حدث للمصريين- تطور المجتمع المصرى في نصف قرن ١٩٤٥ - ١٩٩٥، ص ٤٨.

تطورا حضاريا سريعا فى كافة مناحى الحياة، كما بدأت النواحي الاجتماعية فى مختلف مضامينها وأساليبها تصاغ صياغة جديدة، فأخذت تظهر عادات وتقاليدها الجديدة أدت إلى ذبول العادات والتقاليد القديمة، وخرجت المرأة إلى الحياة العامة وبدأت الارتباطات بين الآباء والأبناء تتغير وأخذت البنات تطالب بمزيد من التحرر بشكل قد لا تستسيغه عقليته الأب أو الأم ولم يعد ثمة ما يحول بين مقابلة الفتى للفتاة قبل الزواج والاتفاق على كل شئ قبل أن يعرف الأهل أى شئ، عن هذا الاتفاق ثم تبلغ الأسرة بعد ذلك بتفاصيل ما جرى .

والسؤال المطروح هو هل كان نظام الخطبة واحد عند كافة الطبقات فى مصر؟ الواقع أن هذا النظام كان متبعا لدى كافة فئات المجتمع عند أبناء الباشوات والذوات مثله عند الطبقة الوسطى والعامة وأن دور الخاطبة كان متبعا فى أفراح أبناء الباشوات والذوات مثلما كان متبعا لدى العامة، وإلى جانب ذلك فإن عدم السماح برؤية العريس لعروسه ولا لأحد من أفراد أسرته من السيدات إلا بعد زفافها^(١)، كان متبعا داخل قصور الأسرة الحاكمة، كما كان سائدا عند العامة، هذا إلى جانب أن أفراد الطبقة الراقية كانوا يفضلون الزواج المبكر والزواج من الأقارب خاصة أبناء الأعمام كما كان يفعل أفراد العامة الذين كانوا يرغبون فى ذلك بحجة التماسك الاجتماعى للأسر، وكما أنه لم يكن لبنات العامة الحق فى اختيار الزوج فإن ذلك كان متبعا لدى الأميرات إذ لم يكن لهن الحق فى اختيار أزواجهن، كما أن الزوج كان لا يختار زوجته عن عاطفة حب متبادلة أو لتوافق فى الطباع أو الأفكار^(٢)، بل كانت أحيانا المنفعة هى التى تقود بعض الأسر لاختيار الزوجات يضاف إلى ذلك أن تمسك الأسر بخطبة الأبنوة الكبرى قبل الصغرى إذا تقدم أحد لخطبتها كان موجودا سواء عند الأغنياء أو العامة إلى أن تغير ذلك فى الوقت الحالى.

ثانيا: مرحلة عقد القوان:

يذكر لين أنه بعد أن يتم اختيار الخاطب لعروسه يذهب بعض أقاربه لمقابلة وكيل العروس، للاتفاق معه على مقدار المهر^(٣)، وكثيرا ما تحدث المساومة فى تحديد المهر عند العامة خاصة المؤخر منه إلى أن يتم الاتفاق، ثم يحدد بعد ذلك عقد الزواج الذى يسمى كتب

(١) يذكر أحمد شفيق باشا أن إحدى الأسر عطلت عن الموافقة على زواجه من ابنتها بمجرد أن طلبت أمه رؤية العروس قبل خطبتها. انظر: مذكراتى فى نصف قرن، ج١، ص ٧٣.

(٢) علماء الحملة الفرنسية: موسوعة وصف مصر، المصريون المحدثون، ج١، ترجمة زهير الشايب، ص ٨٠.

(٣) اختلف مهر الثيب عن مهر الفتاة العزراء، فهو يقدر غالبا بربع مهر العزراء، أو ثلثه أو نصفه كما أنها لم تزف عند الزواج، ويكفى أن تقول المرأة لمن يتقدم لزواجها "وهبت لك نفسى" فتصبح امراته شرعا متى كانت بالغة حتى من دون شهادة. انظر: لين: المصريون المحدثون، ص ١١١-١١٢.

الكتاب^(١). وبعد أن يتم اجتماع المدعويين يذهب العريس مع بعض أصدقائه إلى منزل العروس ويحضر المأذون ثم يتم عقد الزواج بشهادة شاهدين، وأخذ موافقة العروس، ثم يقرأ الحاضرون الفاتحة، ويدفع العريس مقدم المهر ويعقد بعد ذلك العقد فيجلس العريس أمام وكيل العروس، ثم يمسك كل منهما يميني الآخر ويرفع إبهامه ويضغط به على إبهام الثاني ويتولى أحد الفقهاء تلقين الطرفين صيغة العقد، فيضع على اليدين المتماسكتين منديلًا^(٢)، ثم يستهل العقد عادة بخطبة لا تخرج عن بعض الإرشادات والصلوات وبعض الآيات والأحاديث التي تشير إلى فضل الزواج ومزاياه، ثم يطلب من الوكيل أن يقول أزوجك ابنتي (أو موكلتي) فلانة (ويسمى العروس) العنزة البالغة إذا لم تكن قد تزوجت من قبل أو الثيب إذا كان قد تكرر زواجها بمهر قدره كذا ثم يطلب من العريس أن يقول أقبل زواجها وأخذها تحت رعايتي وأتكفل بحمايتها، وأشهدوا على ذلك أيها الحاضرون ويردد الوكيل قوله هذا على العريس مرة ثانية وثالثة فيجيبه الأخير في كل مرة بما سبق، وحينئذ يقول كلاهما "والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أمين" ويعيد الحاضرون قراءة الفاتحة.

وخلال ذلك تجلس العروس في أبهى زينتها، وخلفها الصبايا بالزغاريد تتطلق، وقد وضعت قدميها في وعاء به نعناع أخضر كما تضع في فمها قطعة من السكر ثم ترسل هذه القطعة إلى الزوج ليرسل بدلا منها مبلغا من النقود هدية لعروسه دلالة على الانسجام المنتظر في حياتهما الزوجية، كما تضع على رأسها المصحف الشريف مفتوحا على سورة يس، وزيادة في البهجة والفرح تضرب الدفوف والطبل البلدي والمزمار وتزغرد النساء وينثر الملح على العروس خشية الحسد، ويظهر الجدعان والفتوات من أهل الحارة أمثال المعلم شلبي والأسطى حنفي وزعيط الفلاح وصغار الموظفين من أقارب العروسين أمام الشوارع والطرق المسدودة وهو يشعلون مصابيح من الورق ويتبارون بالبنابيت والعصى (لعبة التحطيب) ويلعبون بالجريد والسيوف ويضربون البارود^(٣)، ويسير بعضهم على عكايز حديدية مرتفعة، ويزينون رءوسهم بالريش ويتضاربون بالعصى الطويلة، بينما يجلس بعضهم القرفصاء أمام منازلهم المبنية بالطوب اللبن والصفائح أو على أقفاص من سعف النخيل حيث يتناولون المشروبات الشعبية مثل البوظة وعرق البلح ويتعاطى البعض منهم الحشيش والأدخنة وهم يستمعون إلى قصص أبي زيد الهلالي، وعنصرة وإلى الأمثال العامية، كما يشاهد

(١) قلما كانت توجد وثيقة مكتوبة تثبت الزواج في ذلك الوقت.

(٢) يحدث أحيانا أن يخطف أحد المدعويين المنديل للاحتفاظ به وأحيانا يتمكن المأذون من أخذه.

(٣) تحول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى دار الوثائق: الداخلية عربي أوامر (١) أمر كريم بتاريخ ١٢ رمضان ١٢٧٥ هـ (١٨٥٩م) وانظر أيضا دفتر أنظمة ولوائح رقم ١٨٩١، ص ٥٤ وثيقة رقم (٩) بشأن منع ضرب البارود واللعب بالجريد والنبوت والبندق والسيف والرمح في الأفراح والمواضع بالقرى.

الصبية ألعاب خيال الظل والقراقوز وغيرها، وتظل النساء من فوق أسطح المنازل لمشاهدة ما يحدث وهن فرحات مستبشرات للعريس والعروس بعقد قران سعيد هذا عن مراسيم عقد القران عند العامة فماذا عند أبناء الباشوات والذوات.

الواقع أن بنات الذوات كن كبنات العامة لا يؤخذ رأيهن في اختيار العريس المنتظر، فالفتاة تنشأ وتربى في انتظار اليوم الذى يسلمها فيه والدها إلى كنف زوج غريب عليها فى شخصه وطريقة تفكيره^(١)، أما عن الاختلاف بين افراح الذوات والعامة فينحصر فى لوازم الفرح، والأموال الفلكية التى يدفعها الذوات للمهر كرمز للمباهاة والتفاخر .

وفى حضور أمراء العائلة المالكة ونظار الحكومة وكبار العلماء والأعيان وتقديم أفخم المأكولات والمشروبات لهم واستبدال المأذون بشيخ الجامع الأزهر الذى يتبها لكتابة العقد فيوفد الشهود يتقدمهم الأغوات إلى باب حجرة العروس المسدول عليه ستار من الحرير الأزرق الموشى بالذهب حتى يحجب ما وراءه، ويسألوها الموافقة على الزواج من الأمير فلان أو الوجيه فلان ويرددون عليها السؤال مرات إلى أن تجيب العروس بالقبول فى تمنع وحياء. وفى أعقاب ذلك ينصرف الشهود لإبلاغ شيخ الأزهر صيغة الجواب فيبدأ فى التصديق على العقد، وبعدها ترتفع الزغاريد، وتقدم أكواب الشربات فى أقداح من الذهب، وتوزع الشيلان والحلوى والعطايا والهدايا الفاخرة على جميع الحاضرين.^(٢)

ومن أبرز أفراح أنجال الباشوات التى تتردد فى التاريخ وما حدث فيها من بذخ وألعاب وفرق عسكرية تعزف العديد من الألحان وراقصون وراقصات وعروض وتمثيلات، وتوزيع مرطبات ومأكولات وكساوى وهدايا نذكر ما حدث فى أفراح إسماعيل باشا^(٣)، ابن محمد على، ومحمد بيك الدفتردار على نظلة هانم ابنة الباشا^(٤)، وكامل باشا^(٥)، على زينب هانم صغرى بنات الوالى وشقيقة أحمد باشا ابن عم محمد على على مختار بك الذى اتم تعليمه فى باريس.^(٦) وكما نذكر ما حدث خلال أفراح أنجال إسماعيل باشا الأربعة والذى عاشت مصر خلاله أيامها الأربعين فى احتفالات فخمة وإسراف اسطورى لم تر مصر مثله

(١) صوفيا لين: حريم محمد على، ص ١٨٦.

(٢) أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن، ج١، ص ٧٠.

(٣) قتل فى شندى بالسودان حرقا على أثر مؤامرة دبرها له الملك نمر الذى دعاه ويطانته إلى وليمه بقصره فى شندى وكان من القش، فأجابوا دعوته وذهبوا إلى القصر ورحب بهم الملك ترحيبا عظيما، وأمر أعوانه أن يجمعوا ما استطاعوا من الحطب والقش والتبن حول القصر وأشعل النار فيه. وقد حصرت النيران إسماعيل باشا وحاشيته ولم يستطيعوا الإفلات من الموت.

للتفاصيل: انظر الرافعى: عصر محمد على، ص ١٦٦-١٦٧.

(٤) للتفاصيل انظر: عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ج٤، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٢هـ تحت عنوان: ثم دخلت سنة تسع وعشرين مائتين ألف، ص ٢١١.

(٥) عمل ياورا وسكرتيرا خاصا لمحمد على، واتعم عليه السلطان برتبة الباشوية بعد أن رشح ليكون زوجا لابنه والى مصر. انظر:

صوفيا لين: حريم محمد على، ص ٢٨٠.

(٦) صوفيا لين: المرجع السابق، ص ٢٦٨-٢٧٩.

فى عصرها الحديث، والتى ذكرت الناس بليالى ألف ليلة وليلة، وباحتفالات قطر الندى ابنة خاروبه فى حفل مهيب عقد الخديو اسماعيل قران أولاده الثلاثة وإحدى بناته فى وقت واحد إذ عقد لولى عهده توفيق على الأميرة امينة هانم بنت الهامى باشا، وللأمير حسين كامل على الأميرة عين الحياة بنت الأمير أحمد رفعت، وللأمير حسن على خديجة هانم بنت الأمير محمد على كما زوج ابنته الأميرة فاطمة الزهراء للأمير طوسون نجل محمد سعيد باشا.^(١)

وإلى جانب ذلك فهناك فروق عديدة بين أفراح الباشوات والعامّة فى حين كان يدعى لإحياء افراح أبناء الباشوات كبار الموسيقيين المشهورين، ويدفع لهم المبالغ الطائلة مقابل إحيائهم لهذه الحفلات، فإن أنجال العامة كانوا لا يدفعون أجرا للموسيقيين والمهرجين والراقصين خاصة إذا كانوا من أصدقائهم أو كانت تدفع لهم النقود من الحاضرين الذين جاءوا لدفع النقوط والمساهمة فى إحياء الفرح.

وبينما كان أبناء الذوات يتفاخرون بما لديهم من مال وعقار فإن أهل العروس من العامة كانوا لا ينظرون إلى ذلك بل إلى حسن سمعة العريس وأخلاقه ودينه، ومعاملته مع الناس، كما أن أهل العريس، كانوا يفضلون البنت التى يعرفون عن أمها حسن العشرة مع زوجها تمكسا بالمثل الذى يقول بكسر البصلة وشمها تطلع البنت لأمها، "وخذ بنت الحلال ولا تأخذ بنت المال".

وبينما كان أبناء الذوات يتفاخرون بنسبهم التركى ومصاهرة العثمانيين فإن أبناء العامة كانوا يفضلون ابن البلد على الأجنبى حتى أن بعضهم كان يغالى فى هذا فلا يزوج ابنته إلا لأحد من أبناء قريته، كما كانوا يفضلون صاحب الصنعة الذى يعيش من عرق جبينه فيقولون "الصنعة خاتم ذهب بيد صاحبها".

وبينما كان العريس من أبناء الباشوات يقدم لعروسه هدية الشبكة مرصعة بالذهب والجواهر، كما يقدم المهر الذى يتباهى به أسر الذوات فقد كان العريس من أبناء العامة يقدم ما يتلاءم مع قدراته وإمكاناته فقد تكون هديته عقدا من الخرز أو أسورة من الزجاج الملون وشيئا من الأقمشة الرخيصة التى يتخذ منها نساء الريف ثيابهن .

وبينما كانت الهدايا المقدمة لإنجال الذوات والأمراء والكبراء تمثل صورة من الحياة الطبقيّة الصارخة التى كانت تعيش فيها مصر فى ذلك الوقت والتى توضح التناقض الصارخ بين الثراء والترّف التى يعيشه أبناء الحكام وحالات الضنك والبؤس والحرمان التى يعيشها عامة الشعب فهدايا طبقة الحكام كانت عبارة عن مجوهرات وقلائد وماس، أما هدايا الأهالى

(١) للتفاصيل انظر: بحثا المعنون أفراح أنجال الباشا المنشور فى مجلة الهلال، العدد سبتمبر ٢٠٢، ص ٥٦-٦٥.

لأبناء جلدتهم من العامة فكانت لا تزيد عن السكر والشربات والأرز والشمع والسمن والدجاج والأوز^(١).

وبينما كانت تتفق المبالغ الطائلة على الأطعمة الفاخرة التى يتناولها ضيوف أفراح الباشوات من صحون المحمر والكباب والكفتة فإن ضيوف أفراح العامة كانوا لا يتناولون سوى العدس أو الببسة أو الفول بالإضافة إلى المش أو الجبن أو الفجل أو المخلل والجميز أما شراهم فكان عرق البلح والبوظة، وبينما كانت الشوك والملاعق والسكاكين تستخدم فى قصور الباشوات فإن العامة كانوا لا يعرفون طريقة استخدامها، بل يجلسون القرفصاء على الأرض ويستعملون أصابعهم حيث أنها أسهل عليهم من استعمال أشياء لا يحسنون استخدامها، وبينما كانت الأميرات ومعظم المدعوات يرتدين الملابس الأفرنجية الفخمة التى جلبت خصيصا من أشهر محلات الأزياء فى أوروبا^(٢)، ويلبسن القلائد الذهبية والمجوهرات المرتفعة الثمن، وينثرن العملات الذهبية والفضية على الحاضرات فإن بنات العامة كن يلبسن الملابس البلدية البسيطة وينثر عليهم الحاضرات من أقاربهن الشعير والملح لدرء عين الحسود وجلب البركة وبينما كانت أفراح أبناء الباشوات لا تقتصر على ليلة واحدة بل كانت تتعدد الليلية قبل ليلة الزفاف اقتصرت أفراح أبناء العامة فى أغلب الأحيان على ليلة واحدة أو أكثر بقليل.

وبينما كانت بنات الباشوات يحصلن على لقب الهانم (الخانم) والبرنسيصة أو الأميرة فإن بنات العامة كن يحملن غالبا أسماء حفيظة وست الدار ونفيسة، ونعناعة وخضرة، وشلبية. وبينما سمح لبعض الأميرات أن تكون العصمة فى أيدهن، لتختار الطلاق من زوجها متى شاءت،^(٣) ذلك فإنه كان من العيب على بنات العامة أو الطبقة الوسطى أن يتحدثن فى هذا الموضوع أو يفكرن فيه أو حتى يستحسن سماعه. حقيقة أن زوجة رفاعة الطهطاوى وابنه خاله كريمة الانصارى، اشترطت عليه ألا يتزوج عليها، وقد فرص رفاعة على نفسه أمام زوجته أن يبقى معها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى ولا جارية أيا كانت فإن تزوج بأخرى كانت زوجته طالقة بالثلاثة ولكن هذا لا يعنى أن زوجة رفاعة كان بيدها العصمة، بل كان من شروطها على زوجها ألا يقتن بها^(٤).

(١) إدوارد ولیم لیب المصريون المحنثون، ص ١٠٤

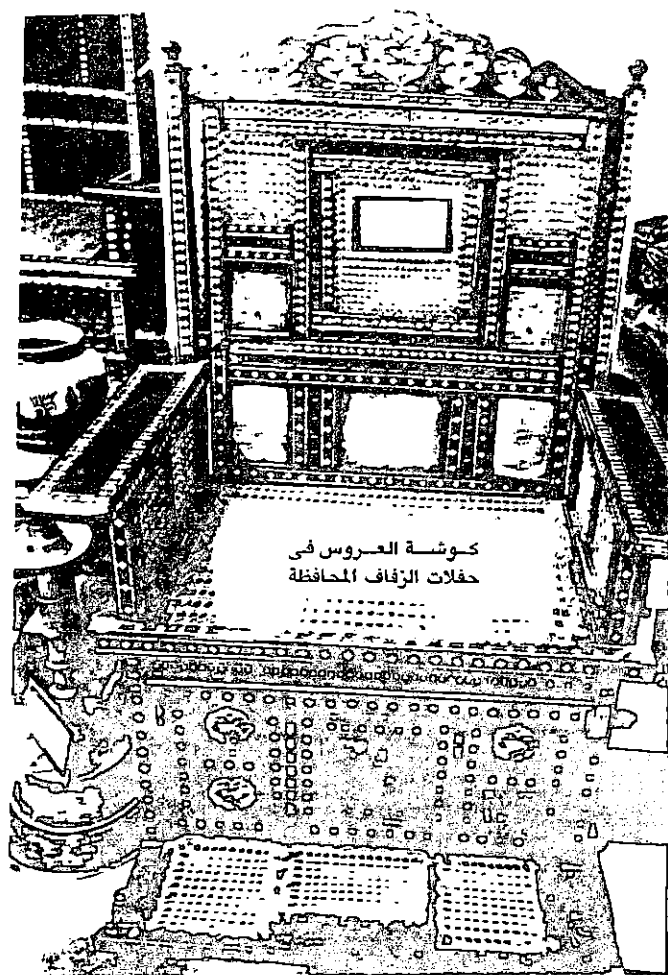
(٢) أحمد شفيق - منكراتى، ص ١٠٤، ص ٧٢.

(٣) أنظر على سبيل المثال ابن عبد رواح عطية انه هانم ست عباس حلمى باشا محافظ انحاء. محفوظة ١٤٩ ملف تراجم البراءات التركية الواردة لندىوان قبل نوفمبر ١٩١٤

(٤) نص عقد هذا الاتفاق كما يلى
"سأكتب لأخوت رفاعة بنو رافع لیب خاله بمصوبة اناجيه كريمة بنت العلامة الشيخ محمد النرجسى، الأنصارى انه يبنى معه على الزوجية بنو غيره من زوجة اخرى و حربة او ما كبت، وعلى عصمته على أحد غيرها من النساء، أو تمنع تجارية اخرى قد تزوج بروجة ايا ما كبت، كبت بنت حاله بمحرم العد حنة بالثلاثة. دار المحمودست. ملف رفاعه بنو رافع اصهبور وثيقة محررة بحد يد وموقعة منه ومختومة بخاتمه فى شوال ١٢٥٥ هـ ومن المعروف انه كن يمكن للمسلم أن يتزوج من أربع زوجات شرعيا بالثلاثة لآى عدد من الأمراء يستمتع اطعمته وهذا التعدد كان أكثر شيوعا عند الطبقات الشعبية"



تستقبلك الفرحة المصحوبة بزغرودة مجلطة عند شرائك مستلزمات الأفرام



وبينما عاشت الأميرات فى قصور فخمة بنيت لهن خصيصا فقد عاشت بنات العامة فى بيوت من الطين أو بيوت أكل منها الدهر وشرب، وسكن بعضهن الخيام، وكل جهازها كان عبارة عن صندوق للملابس وكرسى ومنضدة، وطشت وصينية وأبريق وربما لحاف ووسادتين. وهكذا يتضح لنا الفروق الطبقيّة الصارخة فى الزواج لدى أبناء الخاصة والعامة.

ثالثا: ليلة الدخلة:

بعد الاتفاق على موعد ليلة الدخلة ينقل الإثاث والمفروشات من بيت العروس إلى بيت العريس، كما يذهب العروس ليلة الدخلة إلى الحمام فى صحبة قريباتها وصديقاتها وهن محجبات وسط مظاهر الفرح، ويسمى ذلك زفة الحمام فيتقدم الزفة غالبا فرقة تتكون من مزمار أو مزمارين وطبول مختلفة الأنواع، وقد يتقدم حاشية العروس رجلان يحملان الأوانى والملابس التى تستعمل فى الحمام على صينيتين مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير، ويوجد أيضا سقاء يروى ظمأ السائرين، ورجلان آخران يحمل أحدهما قممًا مملوءًا بماء الورد أو زهر البرتقال يرش منه على السائرين من وقت لآخر، ويحمل الآخر مبخرة يحرق فيها البخور.^(١)

وعندما يصل الموكب فى نهاية المطاف إلى الحمام فإن العروس تستعرض على صاحباتها حليها، فتملأ المباخر بالبخور الطيب الرائحة، وتراق العطور بسخاء وتكشف صاحبات العروس عن أجمل زينتهن، وينقضى اليوم فى مرح وبهجة، وتقدم خادמות الحمام القهوة والشربات والفطائر والحلوى.^(٢)

وبعد الاستحمام تعود العروس إلى منزل أهلها وتتناول مع رفيقاتها العشاء وسط جو من الطرب والأغاني، وبعد ذلك تعجن بعض الحناء، وتضع العروس قطعة من العجين فى يدها ثم تتناول النقود من ضيفاتها، فتلصق كل منهن قطعة من النقود الذهبية عادة على تلك العجينة فتأخذها العروس، ثم تصيف بعض الحناء إلى يديها وقدميها، وتربطها بالكتمان حتى الصباح فتصبغ بلون أحمر برتقالى، وتسمى هذه الليلة "ليلة الحنة". وفى نفس الوقت يقيم العريس حفلا لتسليّة المدعوين.^(٣)

وفى اليوم التالى ترف العروس إلى منزل العريس حيث يراها لأول مرة^(٤)، وتضاء الشوارع أو الحى الذى يسكنه العريس بالمشاعل والفوانيس والقناديل الصغيرة، ويعلق بعضها

(١) بلين : مرجع سابق، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(٢) موسوعة وصف مصر: مصدر سابق، ج١، ص ٨٢.

(٣) بلين : مرجع سابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) إدوارد لين. المرجع السابق، ص ١٠٢.



سيدة تصنع العرص والصفا (اليد موشومة جرساً بالحذاء)



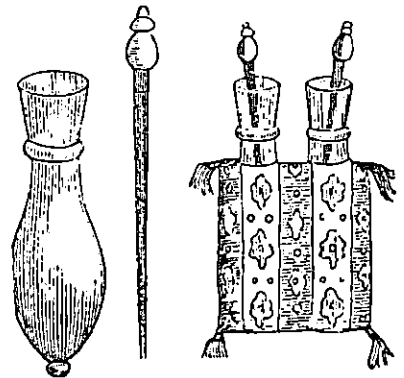
فتاة موشومة - A Tattooed Girl



مطربة من القرن التاسع عشر



عين وحاجب مكحلان على الطريقت الهندية



مادح لكاحل ومراود

Mukhlahs and Muraeds

فى حبال تمتد من منزل العريس إلى المنازل المقابلة على جانبى الشارع وتعلق أيضا مع القناديل رايات حريرية ذات لونين أحمر وأخضر. وتؤخذ العروس إلى بيت زوجها فى العادة عند الغروب، وكثيرا ما تحمل فى هودج (تختروان) مغطى بشال كشمير، ومحمل على جملين زينت أعناقهما بقلائد حرير وأجراس مختلفة فى رقابهما، يسير أحدهما خلف الآخر^(١)، وأحيانا تسير العروس على قدميها وعلى جانبها امرأتان وأطفال الجيران الذين يشاركون فى الهرج والمرج^(٢)، وتصحب العروس بعض صديقاتها معها، وتطلق كثير من النساء الزغاريد وهن يسرن فى ملابسهن الزرقاء^(٣)، ويصدرن أصواتا تعبر عن فرجهن وسط ضجيج كبير من الآلاتية الذين يدقون الطبول وينفخون المزامير^(٤)، وتسمى هذه الزفة "زفة العروسة" وقد يتبارز أمام الزفة فلاحان بالنبوت، كما يعرض بعض الحواة حيلهم وبعد أن تصل العروس إلى بيت الزوجية يتم غمس قدميها اليمنى ويدها اليمنى فى "لبن تناؤلا باليمن والبركة وأن يكون مقدمها منزل الزوجية مقرونا بالخير والنماء ومن العادات الشائعة لدى البعض أيضا أن تقوم صديقات العروس غير المتزوجات اللاتي يصطحبهن بقرصها فى ركبتهن اعتقادا منهن أن ذلك سوف يؤدى إلى حصولهن على زوج فى القريب العاجل كما يقوم أصدقاء العريس غير المتزوجين بقرصه بنفس الطريقة على أمل أن تكون لهم عروس مستقبلا.

أما عن العريس فكان غالبا لا يفوته الذهاب إلى الحمام بصحبة بعض أصدقائه حيث يقوم بإبلاغ رغبته إلى أسطى الحمام عشية اليوم الذى يرغب أن يذهب فيه إلى هناك، فيسارع العمال بتجهيز الحمام بطريقة لائقة^(٥)، وبعد ذلك كانت تقام له زفة تسمى زفة العريس حيث يلبس عادة قفطانا به خطوط حمراء وجبة حمراء ويتوجه إلى المسجد مصحوبا بفرقة طبالين وزمارين وبعض حاملى الشاعل، وبعد أداء الصلاة تعود الزفة من المسجد حيث يزف العريس بالدف وبالموشحات والأوراد كما يشرع المغنون فى الغناء ثم يعود العريس إلى غرفة عروسه حيث يراها لأول مرة ومعها البلانة وحدها فيمنح البلانة عند دخول الغرفة منحة فتسحب فى الحال، وتترك له العروس وهى مغطىة رأسيا بشال لا يرفع. نعريس قبل أن يهبها هبة مالية تسمى "كشف الوش"^(٦)، ويقترّب الزوج من زوجته المغطاه بنقابها ويسمى باسم الله^(٧)، وقد يسعد العريس عندما يرى أن وجه زوجته كما وصف له، وقد يشعر بأنه قد

(١) نفسه، ص ١٨،

(٢) صوفيا لين: حريم محمد على، ص ٦٣.

(٣) بوبيريد بلاكمان: الناس فى صعيد مصر - العادات والتقاليد، ص ٨١

(٤) صوفيا لين: حريم محمد على، ص ٦٣

(٥) علماء الحملة الفرنسية مصدر سابق، ص ٨٤.

(٦) نفس المرجع السابق، ص ١١٠

(٧) علماء الحملة الفرنسية مصدر سابق، ص ٨٤

حدثت له خديعة ويحس بالفجيرة في نفسه إذا كان الأمر غير ذلك^(١)، ويكون نتيجة ذلك القطيعة التامة وذهاب الزوجة غاضبة إلى بيت أبيها.^(٢)

ومن العادات المتبعة وقتذاك تقديم الدليل على بكاره الزوجات للأقارب والأصدقاء باعتبار ذلك دليلاً هاماً على عفة الزوجة.^(٣)

والسؤال المطروح هو هل كانت هناك شروط يتم الالتزام بها من حيث حسب ونسب كل من العروسين؟

الواقع أنه من الأمور التي كانت متبعة في حالات الزواج وقتذاك ضرورة أهلية الزوج وكفاءته الاجتماعية من ناحية النسب والوظيفة بالنسبة للزوجة وأسرته وقصه زواج الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ورئيس حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية من صفية السادات بنت الحسب والنسب والتي أقامت مصر وأقعدتها في أوائل القرن العشرين، وكانت صدمة عنيفة للتقاليد الموروثة الخاصة بالبيوتات العريقة في ذلك الوقت لخبر دليل على ذلك. ومرجع ذلك أن الشيخ على يوسف ذلك الرجل العصامي أراد أن يقترن بزوجة ذات حسب ونسب، وقد هداه تفكيره إلى أن يطلب يد صفية صغرى بنات الشيخ السادات والتي رآها خلال تردده على أبيها أثناء عمله كصحفي، وعلى الرغم من موافقة صفية على هذا الزواج فقد رفضه والدها مما دفع صفية إلى الالتجاء لخالها، حيث تم عقد قرانها هناك ولما علم والدها بالأمر رفع دعوى أمام المحكمة الشرعية طالبا التفريق بين الزوجين لعدم أهلية الزوج حيث أنه لا ينتسب إلى نسب رفيع مثله، كما أنه يعمل جورنالجي وهي مهنة لم تكن موضع تقدير في ذلك الوقت حيث يقوم كما ذكر الشيخ السادات في صحيفة دعواه على الجاسوسية وبث الشائعات وكشف أسرار خلق الله، وبعد أن نظرت المحكمة القضية في ٢٤ يوليو ١٩٠٤ أصدرت حكمها بالحيلولة بين الزوجين، ولكن صفية رفضت طلب المحكمة مما أدى إلى إحداث أزمة وانقسام الرأي العام في مصر إلى قسمين الأغلبية وعلى رأسهم الزعيم الوطني مصطفى كامل وقتت ضد هذا الزواج، أما الفريق الثاني وعلى رأسه الخديو عباس الثاني فقد كان يساند الشيخ على يوسف.^(٤)

١ (تذكر صوفيا لبي أبيها سمعت أن شاكاً كان قد خطب لنفسه فتاة بناء على تركية من صديق له، ثم علم بعد ذلك أنها عوراء ودات مضر كيب ولا يصلح أن تكون زوجة له، ولما حوز التأكد من ذلك طلب من أسرة العروس إرسال الفتاة لرؤيتها قبل الزواج فاشترطوا عليه في بطيخ ذلك أن يتنازل عن أمواله وأماله للعروس قبل أن يسمح لوالدته برؤيتها على أن تحبس في غرفة مظلمة حتى لا يسبل على أحد معرفة إن كانت العروس تبصر بعين واحدة أو باثنتين
أنظر حريم محمد علي، ص ١٤٣

٢ (عشاء الحملة الفرنسية موسوعة وصف مصر، ج ١، ص ٨١)

٣ (بكر بمنارس هذا السلوك عامة الشعب والاقباط أم الشكوات وكثير التحصينات والذين حصلوا على قدر من التعليم فقد هجروا هذه العادة علماء الحملة الفرنسية، مصدر سابق، ج ١، ص ٨٣)

٤ (تفصيل ذلك انظر كتاب دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي في العصر الحديث، ص ١٢٢ - ١٢٥)

هذا عن طقوس ليلة الدخلة لدى العامة فماذا كانت عليه عند أبناء الباشوات والذوات؟ كان ينذر أن يذهب بنات الباشوات إلى الحمام العمومي قبل الزواج لوجود الحمام فى منازلهم^(١)، بل كان يسبق ليلة الدخلة نقل جهاز العروس وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر والتحف إلى منزل العريس وسط زفة عبر الشوارع.^(٢) تتقدمها جوقة موسيقية وألعاب بهلوانية وكان يتبع هؤلاء عربات المدعوين وأثنا عشر جملا على كل منها هودج مغطى بقماش قمرى وبه مجموعة من الاعلام الصغيرة كما فى مواكب الكسوة والمحمل وكان هناك عدد من السقائين لتوزيع الماء على المتفرجين. وكانت الهدايا توضع فى أسبنة مكشوفة فوق عربات مكسوة بالقصب على مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس، هذا عدا الأواني الذهبية والفضية وفناجين القهوة بزخرفتها الذهبية المحلاة بالجواهر وفصوص الماس والياقوت، وكان جهاز العروس يطاف به فى كل المدينة تتقدمه فرقة موسيقية^(٣)، وخلال ذلك كانت الشوارع وشرفات المنازل التى يمر بها الموكب تزدهم بالأهالى والمارة للفرجة عليه، وبالنسبة لحفل ليلة الدخلة فقد كانت العروس تزف فى بدلتها المرصعة بالماس وعلى رأسها التاج الهرمى الذى يتألق بالفصوص البراقة ويصطف الأغوات صفين، ويبد كل منهم شمعدانات ضخمة تضى شموعها كل ما حولها، وبين هذين الصفين تسير العروس فى أبهى حلل العرس حيث تنضبط دقات الدفوف النحاسية والطبول على وقع خطواتها. وعندما تصل إلى غرفة العرش (الكوشة) تجلس على معقد عال فوق مجموعة مرتفعة من الوسائد المطرزة بالساتان الوردى تنثر وابلا من العملات الذهبية والفضية على الجموع وكذلك بارات فضية مخلوط معها شعير وملح لدرء عين الحسود^(٤)، كما تظهر بعض المغنيات والراقصات وقد ارتدين ثيابا حريرية مخططة ووضعن على رءوسهن طرابيش ذات أقراص مذهبة، وازدانت صفائهن بالنقود المذهبة، وظليت وجوههن بالمساحيق الحمراء والزرقاء، بينما ظهر البعض الآخر وقد أسدلن على وجوههن غطاء خفيفا، وهن يسترسلن فى الرقص والغناء الجماعى الذى يتحدث عن جمال العروس ودلالها مما جعلها فريدة العصر بينما كانت الدفوف النحاسية وصاحات الأيدى والطبول تصاحبهن فى الأداء، ويسير خلف هؤلاء صفان من

(١) بلين: المصريون المحدثون، ص ١١١.

(٢) الحرثي: عجائب الآثار، ج٤، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤.

(٣) أحمد شفيق منكراتى فى نصف قرن، ج١، ص ٧١.

(٤) مصوفيا ليل: المرجع السابق، ص ٢٨٢.

الأغوات. وهم يحملون الصناديق والسالل التى تتألق فيها الهدايا المقدمة للعروس والنسبى يتنافس الأمراء والأعيان وذوى الحىثات على التباهى بتقديمها.^(١)

وبعد نهاية الحفل تخرج العروس من غرفة العرش وتتوجه إلى غرفتها الخصوصية مثقلة بما ترتديه من ذهب ومجوهرات تساندها أربع جوارى.. وفى عصر اليوم التالى ينتظم موكب زفافها للذهاب إلى سراى زوجها من خلال مهرجانات ضخمة يتقدمها الفرسان والموسىقات العسكرية، ويتم خلالها تزيين الحوانيت والطرق التى تمر عليها زفة العروس وهزم مساطب الدكاكين وغيرها لتوسعة الشوارع ثم رشها بالماء^(٢)، كما يتنافس أصحاب الحرف فى المشاركة فى هذه المهرجانات بالتفنن فى اعداد المواكب التى يبرزون فيها أعمالهم والنسبى كانت بمثابة معرض متنقل يمثل الحياة الصناعية والإنتاجية فى البلاد كما تقوم الجوقات الموسيقية بعزف إلهانها، وتقديم أغانيها بينما يقوم آخرون بحمل شجيرات مزدانه بأكاليل الزهور والتيجان ومزخرفة بالشموع المضاءة، والكرات الملونة البراقة هذا إلى جانب اللوحات العريضة من النحاس المذهب المرفوعة على أقواس وخلف هؤلاء يسير المدعون من النساء المرتديات أجمل الفستانات يرددون مقاطع بعض الأغانى.

وبعد أن تصل العروس إلى بيت الزوجية، يسمح للعريس أن يرى وجه زوجته فى المساء المتأخر لأول مرة.^(٣)

هذا عن طقوس الزواج عند المسلمين أما بالنسبة للأقباط فإن الأمر لا يختلف كثيراً، بل ينحصر الاختلاف فى إقامة قداس الزواج الذى يتم مساء فى الكنيسة حيث يرتدى العروس والعريس ملابس جديدة فى هذه المناسبة، ويسير الرجال إلى الكنيسة وهم حاملين الشموع والمصابيح بينما تطلق النساء الزغاريد، وبعد أن يوجه القس كلامه للعروسين ويتبادلان خاتمي الخطوبة يقوم أحد الحاضرين للتحدث لمجاملة العروسين فيقارن العروس مثلاً بالقمر والعريس بالشمس، وقد يحذو آخرون حذو هذا الرجل وبعد انتهاء هذه المراسيم، تذهب العروس فى طريقها لمنزل العريس^(٤).

(١) يذكر الجبرتى فى وصف حفل زفاف نظلة هاتم ما قدم لها من الهدايا والأمتعة وان هذه الهدايا كانت تعرض على أم العروس أولاً فإن أعجبها تركتها وإلا أمرت بردها قائلة هذا مقام فلانة، فتكلف صاحبه الهدية بزيادتها مع ما يلحقها من كسر الخاطر.

انظر. عجائب الآثار، ج٤ (المحرم ١٢٢٩هـ/ ديسمبر ١٨١٣).

(٢) وصف الجبرتى حفل زفاف نظلة هاتم على محمد بك الدفترار وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر، كما وصف موكب زفافها فى وسط المدينة وما حدث له فقال: "أطبق الجو بالغيام وأمطرت السماء مطراً غزيراً حتى تبحرت الطرق وتوحدت الأرض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المجتمعين للفرجة.. وتكررت طباعهم وانتفضت أوضاعهم وزادت وساوسهم وثقلت ملابسهم... ولم تصل العروس إلى دارها إلا قبيل دنو الشمس من غروبها. انظر عجائب الآثار، ج٤، ص ٢١٥.

(٣) أكت ذلك صوفيا لين التى حضرت زفاف زينب هاتم ابنه محمد على على كامل باشا فذكرت ان العريس لم ير وجه عروسه إلا فى المساء المتأخر وأنه بعد أن أزاح الحجاب عن وجه عروسه تقهقر إلى الوراء يمعن النظر فيها مدة نفيقة حيث كن يتهيأ لتأملها لأول مرة. انظر: حريم محمد على، ص ٣٢١.

(٤) وينيفريد بلاكمان: المرجع السابق، ص ٨٢-٨٣.

وبالنسبة لزواج اليهود المصريين فقد جرت العادة على تزويج الفتاة فى سن مبكرة، وكانت عملية الارتباط بين الرجل والمرأة تمر بثلاث مراحل هى التعارف والخطوبة ثم الزواج، وخلال فترة التعارف كان والد العروس يعقد ولائم ضخمة، وكان يتم فى إطار ذلك التوقيع على السند الخاص بمرحلة التعارف، وعقب ذلك الحفل كان يحق للعريس أن يلتقى مع الفتاة للتعارف عليها فى أوقات متقاربة، وبالنسبة للخطوبة فكان يلزمها توافر ثلاثة شروط هى أن تتم بموافقة الحاخام وفى حضور عشرة أشخاص يكون من بينهم كاتب المحكمة أو أحد الفقهاء، وأن يتم التوقيع على وثيقة الخطوبة أما عن أهم شروط عقد الزواج فقد تضمنت عدم اقتران الزوج بأمرأة أخرى إلا بموافقة زوجته الأولى^(١)، والتزام الزوج بالانفاق على زوجته، وألا يحق له التمتع بمكاسب زوجته وكان المهر الذى يدفعه العريس لعروسه يدون فى عقد الزواج، وكانت مراسم الزواج تصاحب عادة بعقد الولائم الضخمة، وإقامة الاحتفالات الراقصة.^(٢)

إن معظم هذه العادات قد تغيرت تقريبا فى غمار الحراك الاجتماعى الذى طرأ على المجتمع المصرى، فأصبحت الفتاة هى التى تختار عريسها أو توافق عليه، وأصبحت تتمرد على محاولة الأهل تزويجها بقريب منها، وترفض بإصرار الزواج على الطريقة التقليدية، لأنها بما اكتسبته من التعليم والخبرة والتفتح العلمى والثقة بالنفس أصبحت لديها الجراءة على التعبير عن مشاعرها الحقيقية، كما أصبحت مؤهلة لزواج يحقق لها الصعود فى السلم الاجتماعى. يضاف إلى ذلك أن نظرة الفتاة وأسرتها فى اختيار العريس قد تغيرت فبعد أن كان يفضل أن يكون موظفا فى وظيفة مირى (أى حكومية) حتى تضمن لأسرته معيشة مستقرة ومركزا اجتماعيا مرموقا تطبيقا للمثل المصرى القائل : "إن فائك الميرى اتمرغ فى ترابه" أصبح العريس المنشود بين الفتيات حاليا هو الذى يملك شقة وسيارة وأموالا ويكون شخص "نيولوك" New Look ولا يهم أن كان يعمل فى مهنة حكومية أو غير حكومية أو كان قد نال قسطا من التعليم أم لا.

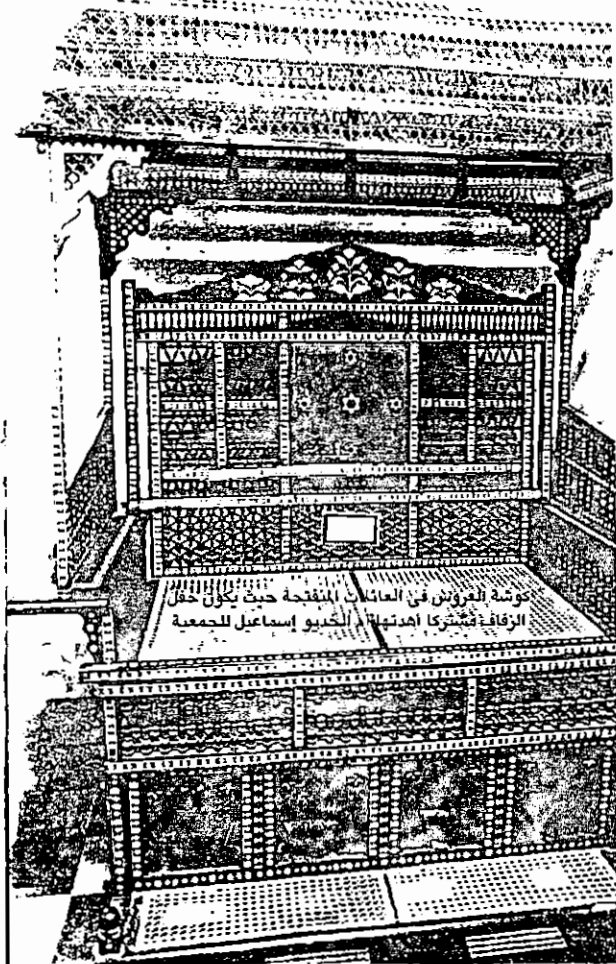
هذا عن مواصفات العروس فى اختيار شريك حياتها أما عن العريس فبعد أن كان يفضل الفتاة التى لا تبرح بيتها، وتكون مسئولة عن تنسيق البيت حتى يعود من عمله فيجده مرتبا نظيفا، وتهتم بتربية أطفالها والعناية بهم وتوهمه جوا منزليا هادئا يستقر إليه، وسنين عسل يتجلى خلالها معدنها الأصيل أصبح همه الأكبر هو أن تكون عاملة تشاركه فى

(١) بعقد... ٧... ٢٠٠٩، ص ٢٠٠، مصر فى الفترة ١٥١٧ - ١٩١٤ ترجمة حماد الرفاعى وأحمد حماد، ص ٢٠٥
(٢) إنصهر
٢٠٠٢، ص ٢٠١ - ٢١

مصاريق المنزل وفي أعباء المعيشة وأن يكون راتبها مقبولا بضاف إلى ذلك أنه بالنسبة لعادات أحياء الأفراح فبعد أن كانت الأسر الغنية تحي أفراس انجالها فى منزلها بحفلات تحيها أم كلثوم أو عبد الوهاب يصر حديثو الثراء على إحياء أفراسهم فى الهياتون أو الشيراتون على أصوات "شعبولا" ورقصات "سنية شخلع" وأمثالها.

وهكذا تغير الذوق المصرى فى غمار الحراك الاجتماعى التى طرا على المجتمع المصرى.

ومما سبق يتضح أن أفراس الأنجال لدى المصريين عوما كانت تمثل سواء عند الأغنياء منهم أو الفقراء مكانة هامة تبرز فيها العديد من العادات الموروثة والمستحدثة خاصة وأن البحث عن بنت الحلال الذى تسعد زوجها، وتريح قلبه، وتحفظه بحسن تدبيرها، وتكون سترا له فى الدنيا من الأمور التى تهفو إليها القلوب جميعا، وأن العصر الحاضر الذى نعيشه شهد تطورا حضاريا سريعا قلب الأمور رأسا على عقب فى كافة مناحى الحياة الاجتماعية وتغيير بعض تقاليد المصريين المتوارثة وعاداتهم، وظهور عادات جديدة، حلت مكان العادات القديمة الموروثة.



دوشة العروس فى العائات المنفحة حيث يكون حفل الزفاف تشركا اهدتيا، الخديو إسماعيل للجمعية



الخلابة الماد



رافضة تركية



الحارب عمده الجامع



العشاء



وفيها يقول العسكري

المغرم صلبه :

يا ميت مسا الفل يا نجمة بين الصوريين

فداكى لربع شرايط والنمر لتنين

فداكى في سجن طوكر اتحبس سنتين

من شيخ حارتكم ؟ واسمه ايه ؟ وسكن فين

اشكه محضر تستر ع القمر ليلتين

يا جنحة موش ساعله في حكومة ولا ف قوانين

يا حالة د ج ، مشية تتمخطر على رجلين !

الحالة د ج ، !

هذه الصورة لبنت البلد

والعسكري - صاحب

الأربع شرايط - الذي يفتل

شاربه .. نشرت لأول مرة في

آخر ساعة ، في ٢٨ يناير

١٩٤٨ .. ومعها هذه

الادبيات من الرجل تحت

عنوان الحالة د ج ، ..

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

أ- دار الوثائق القومية:

- الداخلية، عربى، أوامر (١) ١٢٧٥ هـ.
- دفتر أنظمة ولوائح رقم ١٨٩١.
- محافظ أبحاث، محفظة رقم ١٤٩ ملف تراجم البراءات التركية.

ب- دار المحفوظات العمومية:

ملف رفاة الطهطاوى

وثيقة محررة بخطه وموقعه منه ومختومه بخاتمه بتاريخ شوال ١٢٥٥ هـ.

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

- ١- أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن، ج١، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤.
- ٢- أدوارد ولیم لین: المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر ترجمة عدلى طاهر نور - القاهرة - الانجلو المصرية ١٩٥٠ م.
- ٣- جلال أمين: ماذا حدث للمصريين. تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥ - ١٩٩٥ ، القاهرة، مكتبة الأسرة ١٩٩٩.
- ٤- صوفيا لين بول: حريم محمد على باشا - ترجمة عزة كراهر، القاهرة، سطور، ١٩٩٩.
- ٥- عامر العقاد: أحمد أمين حياته وآدابه، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧١.
- ٦- عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ج٤، القاهرة، المطبعة الشرفية، ١٣٢٢ هـ.
- ٧- عبد الرحمن الراعى: عصر محمد على، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة ٢٠٠١ م.
- ٨- عبد المنعم الجمبى: دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر الحديث، القاهرة، مكتبة الصفا والمروة ١٩٩٦ م.
- ٩- علماء الحملة الفرنسية: موسوعة تاريخ مصر - المصريون المحدثون ، ج١، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢ م.

- ١٠- فكرى أباطة: الضاحك الباكي، القاهرة، دار الهلال، ١٩٣٣.
- ١١- محمد جبريل: مصر فى قصص كتابها المعاصرين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٢.
- ١٢- محمد عمر: حاضر المصريين أوسر تأخرهم، القاهرة، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٢م.
- ١٣- محمد كامل جمعه: حافظ إبراهيم ، القاهرة، ١٩٥٨.
- ١٤- وينفريد بلاكمان: الناس فى صعيد مصر- العادات والتقاليد- ترجمة أحمد محمود، القاهرة، عين للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م.
- ١٥- يعقوب لاندوا وآخرون: تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية ١٥١٧- ١٩١٤ ترجمة جمال الرفاعى وأحمد حماد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

ثالثا: المصادر الأجنبية:

- Lane/ Edward: The Manners and Customs of Modern Egyptians , London, 1923.

رابعا: رسائل جامعية غير منشورة:

- رشاد رمضان عبد السلام، النشاط اليهودى فى مصر ١٨٩٧- ١٩٢٢ رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة أسيوط، ٢٠٠٢.

خامسا: الدوريات:

- الهلال عدد سبتمبر ٢٠٠٢.

